

المبحث الثاني

الدروس والعبر المستفادة من

سرية أبي سلمة ﷺ إلى قَطْن (بني أسد)

١ - لا يأس من رحمة الله:

يقول أ/ فتح الباب: «كان الموقف الذي اتخذهُ الرسول ﷺ في غزوة أحد هو الاستمرار في حشد جميع الجهود وتعبئتها ورفض اليأس: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف]، ونفى أن تكون النكسة ظلامًا حالًا يحرم المسلمين القدرة على رؤية هدفهم المقدس وتحديد طريقهم لبلوغه، فهذا هو نور الله يملأ الكون ويأخذ بيد المؤمنين به إلى الطريق المستقيمة، وما هو الأفق يتنفس كل يوم عن صبح جديد يغمر الوجود بإشراقه، وشجاعة المؤمن لا تعرف الوهن ولا التخاذل، شجاعة تصمد أمام الحوادث وتجاهبه المصاعب والتحديات.

ولقد كانت نكسة أحد قاسية وكادت تضطرب لها حيلة المسلمين اضطراب السفينة في بحر متلاطم الأمواج، مالت بمن فيها، ولكنها لم تغرق، فلقد صمد القائد المبعوث من عند الله في موقعه، فأعاد السفينة إلى توازنها وإلى النفوس طمأنينتها وسكينتها، ونهض الریان والركاب - في تكاتف وتساند - يصلحون من سفيتهم ما فسد منها ويعيدون إليها قوتها.

وكان ذلك الموقف هو السبيل إلى إزالة الآثار النفسية التي تركتها تلك المحنة والقضاء على هول الكارثة وعلى الإحساس بالضياع والحيرة والقلق، وإعادة تماسك المجتمع الإسلامي والتحام وحداته بلا نفور ولا شذوذ، ودعم قواه المادية والمعنوية التي كانت الصدمة قد هزتها، وكاشف النبي ﷺ رجاله بمسؤولياتهم، وصارحهم بما ينبغي أن يلتزموا من إقدام يتحلى به جنود الله فلا يعرف الخوف أو الفزع إلى قلوبهم سيلاً». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٩٢-٩٣].

٢ - فزع المشركين:

يقول أ/ فتح الباب: «حقق الأبطال أمل القائد العظيم فيهم، فارتفعوا إلى مستوى المسؤولية التي حملهم أمانتها، فكان خروجهم لمطاردة جيش العدو العائد من أحد في طريقه إلى مكة، ولما يمض غير يوم وليلة على المعركة، وكان فرع أبي سفيان وعجزه عن مواجهة المسلمين الذين اجتروا على مطاردته، لا ترهبهم قوة رجاله، ولا يخذلهم ما أصابهم من هزيمة.

وكان لا مفر من المضي حتى آخر الشوط في طريق المقاومة والتصدي لعصبة الضلال، واسترداد مكانة الجبهة المؤمنة، والقضاء على كل مَنْ تسول له نفسه التعرض لها، ولم يمض غير شهرين على عودة

النبي ﷺ إلى المدينة حتى بلغه أن بني أسد يزمعون الانقضاض على المسلمين ممنين أنفسهم أنهم بالغون منهم ما بلغته قريش في أحد، طامعين في استلاب بعض أموالهم، متطلعين إلى نصر خاطف يرفعون به منزلتهم بين القبائل». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٩٣].

٣ - معرفة صورة المسلمين في البيئة العربية بعد أحد:

يقول د/ الغضبان: «من خلال النقاش في القيادة العليا لبني أسد حول موضوع التحرك لمواجهة المسلمين تتضح صورة المسلمين في البيئة العربية بعد أحد، فقد انقسمت قيادة بني أسد إلى رأيين في موضوع المواجهة مع المسلمين:

الرأي الأول يقول: «الْقَوْمُ مُنْكَوِبُونَ، قَدْ أَوْقَعَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ حَدِيثًا، فَهُمْ لَا يَسْتَلِبُونَ دَهْرًا، وَلَا يُثَوِّبُ لَهُمْ جَمْعٌ».

والرأي الثاني يقول: «مَا هُمْ مُهْبَةٌ لِمُتَهَبٍ، إِنْ دَارَنَا لَبِيعِدَّةٌ مِنْ يَثْرَبٍ، وَمَا لَنَا جَمْعٌ كَجَمْعِ قُرَيْشٍ، مَكَثَتْ قُرَيْشٌ دَهْرًا تَسِيرُ فِي الْعَرَبِ تَسْتَنْصِرُهَا، وَهُمْ وَثَرٌ يَطْلُبُونَهُ، ثُمَّ سَارُوا وَقَدْ امْتَطَوْا الْإِبِلَ وَقَادُوا الْخَيْلَ وَحَمَلُوا السَّلَاحَ مَعَ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ - ثَلَاثَةَ آلَافٍ مُقَاتِلٍ سِوَى أَتْبَاعِهِمْ - وَإِنَّمَا جَهْدُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا فِي ثَلَاثِائَةِ رَجُلٍ إِنْ كُمَلُوا، فَتُغَرَّرُونَ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدِكُمْ، وَلَا أَمْنٌ أَنْ تَكُونَ الدَّائِرَةُ عَلَيْكُمْ».

والرأيان متفاوتان في الحكم على قوة المسلمين، لكن بني أسد حين رجح عندهم الرأي الأول في المواجهة ليس من قبيل الحرب الشاملة بين القوتين، فهذا لم يكن طليحة يحلم به، لكن من باب حرب العصابات في النبل من أطراف المدينة، أو استلاب النعم والشاء عندهم، كما فعل أبو سفيان ابن حرب بعد بدر حين غزا ظاهر المدينة وأخذ بعض نعمها وقتل راعيها». [التربية القيادية للغضبان ٢٣٦/٣].

٤ - تسخير الله تعالى لأولياته المؤمنين:

يقول د/ الحميدي: «إن محيي ذلك الرجل الطائي الوليد بن زهير بن طريف وإخباره طليب بن عمير ﷺ بخبر بني أسد فيه عبرة، حيث قَدَّرَ الله قدومه إلى المدينة في الوقت المناسب، ونزوله على ذلك الصحابي وإخباره بالخبر، وهذا من تسخير الله تعالى لأولياته المؤمنين». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٢١/٦].

٥ - الوعي الفكري عند أفراد الصف:

يقول د/ الحميدي: «موقف لذلك الصحابي طليب بن عمير ﷺ حيث أسرع بإخبار النبي ﷺ بخبر بني أسد، وهذا دليل على أن الصحابة ﷺ كانوا يعيشون مع قضايا أمتهم ويبدلون جهدهم في حل تلك القضايا، وهذا من الوعي الفكري عند الصحابة ﷺ في واقعهم وواقع أعدائهم».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٢١/٦].

٦ - اغتنام الفرص:

يقول د/ الغضبان: «تطالعا سرعة المبادرة العجيبة التي نشهدها لدى سيد القادة ﷺ في التحرك السريع الخاطف والاستفادة من خبر الطائي الذي نقل الخبر، ومعرفته بأرض بني أسد جيران طيء، وبين طيء وأسد ثارات سابقة وأيام ملاحم قديمة - يريد الطائي من خلالها أن يثأر لقبيلته بالمسلمين؛ ولذلك اختار ﷺ نخبة منتقاة من صفه، وجعل أميرها أبا سلمة بن عبد الأسد ﷺ؛ لتضرب العدو في مواقعه قبل أن يتحرك، وتُجهز عليه وهو يعد الخطة للهجوم على المسلمين». [التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٣٦].

٧ - فراسة القيادة في اختيار ذوي الكفاءات:

يقول د/ الغضبان: «اختار رسول الله ﷺ أبا سلمة ﷺ لهذه المهمة الضخمة، ولهذه المواجهة الخطيرة مع قائد من أكبر القادة العرب المشهورين آنذاك: طليحة بن خويلد الأسدي، ولما تندمل جراح أبي سلمة ﷺ بعد، فكم هي ثقة النبي ﷺ بأبي سلمة ابن عمته ﷺ. ولعل من أهم أسباب اختياره لذلك: هو هذه القرابة القريبة، فقد كان ﷺ يعد لمثل هذه المهمات: عمّه حمزة ﷺ الذي افتقده في أحد، وابن عمته عبد الله بن جحش ﷺ الذي افتقده أيضًا في أحد، وابن عمه عبيدة بن الحارث ﷺ الذي افتقده في بدر أيضًا.

وعامل آخر من عوامل اختيار أبي سلمة بن عبد الأسد ﷺ يبرز في هذا الجانب: هو أنه شريف بني مخزوم وسليلهم، وخالد بن الوليد المخزومي، هو الذي قاد الهجوم المضاد في أحد، وقلب موازين المعركة، وأوقع المحنة في المسلمين، وانتشر اسمه علمًا ضخماً عسكرياً من أعلام القيادات في الأرض العربية، فليكن الذي يقود الهجوم على بني أسد مخزومياً كذلك، ومن قبيلة خالد بن الوليد، ويعرف العرب جميعاً أن بني مخزوم في قريش هم قادة المواجهة ضد الإسلام، ولا ينسون على رأسهم الوليد بن المغيرة وحيد قريش، وعمر بن هشام فرعون هذه الأمة، فبرز أبي سلمة ﷺ في الصف الإسلامي، دَفَع لكل من يراود الإسلام قلبه من أبناء القبائل العربية أن يسارع إلى الانضمام إلى الصف الإسلامي، ولو كانت قبيلته تحمل المواجهة ضد الإسلام، كما هو حال أبي سلمة المخزومي ﷺ، فهو المنهج التربوي النبوي في الاصطفاء، حيث تكون كل العوامل مدروسة، ويتم الترجيح والتغليب بينها في حسن اختيار القائد من صاحب البصيرة النافذة، ومن النظرة الواحدة للمصطفى ﷺ إمام المرين في الوجود».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٣٤-٢٣٥].

ويقول ل/ خطاب: «أما سمات قيادته: فتحمل المشاق، والكتان الشديد، وتطبيق المباغطة الكاملة بالزمان.

وبالرغم من أنه قاد سرية واحدة من سرايا النبي ﷺ لمرة واحدة فقط، ثم انتهت حياته وذهب إلى جوار الله، إلا أن أفراد سريته كانوا من أبرز المسلمين ومن قادة النبي ﷺ في حياته، وقادة الفتح الإسلامي بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، مما يدل على قوة شخصيته وتميزه في سماته القيادية. ولم يكن أبو سلمة ؓ قائداً متميزاً من قادة النبي ﷺ فحسب، بل كان إدارياً متميزاً - أيضاً - من إداريي النبي ﷺ الذين كان يستخلفهم على المدينة المنورة حين كان يغادرها للجهاد.

لقد كان أبو سلمة ؓ إنساناً مثاليًا وإدارياً متميزاً وقائداً فذاً.

يذكر التاريخ لأبي سلمة ؓ، أنه كان من أوائل المسلمين الأولين، الذين اعتنقوا الإسلام ودافعوا عن الإسلام والمسلمين، وأنه كان أول من هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين الأولين، وأنه من أوائل من هاجر إلى المدينة المنورة من المهاجرين، وأنه تحمّل أذى قُرَيْش والمشرّكين صابراً محتسباً، وما أصاب آل بيت في الإسلام ما أصاب آل أبي سلمة ؓ في سبيل الدين الخفيف، وأنه كان قائداً لامعاً، وإدارياً حازماً، وإنساناً عظيماً.

ويذكر له: أنه ختم حياته بالشهادة، فكان من أقدم لبنات صرح الإسلام منذ كان الإسلام.

[قادة النبي ﷺ لخطاب ٢١٩-٢٢٠].

ويقول الشيخ الغزالي: «لم يلتق أبو سلمة ؓ عناء في تشيت أعدائه واستياق نعمهم أمامه، حتى عاد إلى المدينة مظفراً.

وأبو سلمة ؓ يُعد من خيرة القادة الذين صحبوا رسول الله ﷺ وسبقوا إلى الإيمان والجهاد معه، وقد عاد من هذه الغزاة مجروحاً، إذ نغر عليه جرحه الذي أصابه في «أحد»، فلم يلبث حتى مات ﷺ.

[فقه السيرة للغزالي ٢٨٤].

ويقول د/ الغضبان: «ونشير في هذه السرية إلى اشتراك أعظم قيادات المهاجرين والأنصار تحت لواء أبي سلمة ؓ.

فعلى رأس جنوده من المهاجرين اثنان من العشرة المبشرين بالجنة: سعد بن أبي وقاص ؓ، وأبو عبيدة بن الجراح ؓ، وبقية الخيار من أهل بدر.

فالسيد الثاني والثالث في الأوس بعد سعد بن معاذ ؓ وهما: أسيد بن حضير ؓ، وعبد بن بشر ؓ، كانا من جنود أبي سلمة ؓ في هذه السرية، إضافة إلى سادات الخزرج المشاركين فيها.

ونستطيع القول: إن خيرة الطاقات والخبرات المسلمة العسكرية والحربية انضمت تحت لواء أبي سلمة ؓ لتواجه خيرة الطاقات والخبرات العسكرية والحربية عند بني أسد تحت لواء طليحة ابن خويلد الأسدي». [التربية القيادية للغضبان ٢٣٥-٢٣٦].

٨ - الاعتناء بوضع خطة القتال:

يقول أ/ فتح الباب: «حين علم النبي ﷺ بخبر بني أسد ما لبث أن دعا إلى الجهاد، فوجد من رجاله مائة وخمسين، وعقد لواء السرية لأبي سلمة بن عبد الأسد ﷺ، فارتضاه فخوراً بما أولي من ثقة، وأعد نفسه للمضي فيما نُدب له رغم جرح أصابه في أحد، ولم يلتزم إلا ظاهراً مما أدى إلى وفاته بعد انتهاء هذه السرية نتيجة ما بذل من جهد، وكان تحت إمرته رجال من صفوة الصحابة منهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير رضي الله عنه، وحدد لهم النبي ﷺ خطة القتال، وكانت تقوم على المباغتة ضماً للنصر، فلا سير إلا في جنح الظلام، فإذا بزغ الفجر استخفوا عن الأنظار، ولا مسلك إلا السبل التي يندر ارتيادها.

ونجحت خطة القائد المعلم الأعظم ﷺ، وكانت المباغتة ضربة ليلية مميتة لبني أسد، فما استطاعوا لها دفعاً، وحملت نفوس المسلمين فأعملوا سيوفهم في رقاب عدوهم الذي أخذ على غرة، وهو جم قبل أن يكمل استعدادده، هنالك تفرق شمل بني أسد وقد استبد بهم الزعر من هول ما حاق بهم، فولوا على أعقابهم مدبرين، وَجَدَ في أثرهم بعض جنود أبي سلمة ﷺ حتى اختفوا عن العيون تاركين قتلاهم وجراحهم وأموالهم، وكان من أثر انتصار هذه السرية أن ازدادت هيبة المسلمين ودعمت سطوتهم في المدينة، وَبُهِتَ المنافقون والمشركون». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٩٣-٩٤].

٩ - الهجوم خير وسيلة للدفاع:

يقول ل/ خطاب: «وقد كان هدف النبي ﷺ من هذه السرية، هو تشتيت حشود بني أسد، وتفريق شملهم، وتخطيط معنوياتهم، حتى لا يهاجموا المسلمين في المدينة، والهجوم أنجع وسائل الدفاع كما هو معلوم، فحقق أبو سلمة ﷺ هدف النبي ﷺ تحقيقاً كاملاً، وعاد إلى المدينة على رأس سريره سالماً غانماً». [قادة النبي ﷺ لخطاب ٢١٦].

ويقول د/ الحميدي: «إن اهتمام النبي ﷺ بإرسال تلك السرية على بني أسد ليباغتهم قبل أن يجتمعوا ويكون لهم جيش كبير، في هذا دليل على الدقة في التخطيط الحربي، وقد حصل ما أراد النبي ﷺ حيث أدركهم أبو سلمة ﷺ قبل أن يجتمعوا، فذهلوا من وصول المسلمين إليهم وهم يظنون أن وقعة أحد قد قضت عليهم، فأصيبوا بالرعب من المسلمين وعدلوا عن عزمهم على غزو المدينة.

وبنو أسد لم يستفيدوا من درس غزوة حمراء الأسد التي أراد بها الرسول ﷺ إرهاب أعدائه جميعاً وإظهار المسلمين بمظهر القوة، فجاءت هذه السرية لتُلَقِّن بني أسد درساً لن ينسوه، أما بقية الأعداء وعلى رأسهم أهل مكة فإنهم قد وعوا الدرس جيداً، فلم يتجرؤوا على غزو المدينة».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٢١/٦-٢٢].

١٠- توجيه الضربة الأولى للعدو:

ويقول د/ أبو فارس: «لقد كان رسول الله ﷺ يعلم مدى الأثر النفسي البالغ على العدو حين يباغته بضربة قوية تزلزل أركانه، وتهدم بنيانه، وتربك أفرادها، فتنهال الروح المعنوية في القتال، ومن هول الصدمة العنيفة القوية المفاجئة تجعله إما أن يستسلم دون قتال، أو يولي الأدبار، أو يطلب الصلح والأمان.

ومن دراستنا لسيرة الرسول ﷺ في غزواته وسراياه وبعوثه نجد أنه ﷺ كان حريصاً على توجيه الضربة القوية لعدوه حتى يحقق النصر عليه، وحتى يقيم المعركة على أرض عدوه لا على أرض المسلمين، فإن لهذه الحالة أثراً على نفسية المقاتل ونفسية الشعب الذي يرى ما حل بمقاتليه حين وجهت لهم الضربة الأولى». [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٥١].

١١- الهجوم فجراً:

ويقول ل/ خطاب: «استطاعت سرية أبي سلمة ﷺ بهجوم فجري على بني (أسد)، فكان هذا الهجوم مباغته كاملة أثرت على معنوياتهم، وأجبرتهم على الفرار. إن الهجوم فجراً يؤمن المباغته؛ لأن العدو يكون بين نائم لا يفيد في القتال أو مستيقظ غير متهيئ له، وهؤلاء جميعاً غير متهيئين للقتال، ولا جدوى منهم للنهوض بأعباء الحرب. ولكن الهجوم فجراً يحتاج إلى قوة مدربة تستطيع معرفة أهدافها، فلا يصطدم بعضها ببعض، فيؤدي ذلك إلى خسائر في الأرواح دون مبرر، مما يدل على تدريب المسلمين تدريباً متميزاً على فنون القتال. كما يحتاج الهجوم فجراً إلى قيادة مهيمنة وإلى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر. إن نجاح المسلمين بهذا الهجوم معناه وصولهم إلى درجة عالية في التدريب والضبط، وهما أهم عناصر الجيش القوي الرصين». [الرسول القائد ﷺ لخطاب ٢١٧].

١٢ - الفدائية العظيمة للصحابة رضوان الله عليهم:

يقول د/ الحميدي: «خروج هذه السرية إلى أرض بعيدة من المدينة وإقدام أصحابها على غزو قوم في بلادهم يعتبر نوعاً من الفدائية، وقد ضمت عدداً من وجوه المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اشتهروا بالشجاعة والإقدام، وإذا تذكرنا أن بلاد بني أسد مجاورة لقبيلة غطفان الكبيرة القوية، فإن مجرد الإقدام على غزو تلك القبيلة في عقر دارها يعتبر مغامرة جريئة.

إن الذي يشارك في مثل هذا الخروج لا يؤمل في أن يعود سالماً غانماً، وإنما الذي يغلب على ظنه أن يظفر بالشهادة؛ ولهذا الهدف النبيل كان الصحابة ﷺ يسارعون في الخروج إلى الجهاد، ويغلبون جانب الدخول في مواطن الهلاك والخطر، كما مر علينا في تحمسهم للخروج إلى الأعداء يوم أحد؛ ولهذا

فإن الناظر في هذه السرية الذي يريد أن يقدر مواقف أصحابها لا ينبغي له أن ينظر إلى نهايتها ونتائجها، وإنما ينبغي له أن ينظر إلى احتمال أن يكون بنو أسد قد علموا بالمسلمين منذ خروجهم من المدينة فسارعوا في جمع الجموع لهم بالمستوى الذي كانوا يريدون به غزو المدينة، ثم يقدر جسامة الموقف وعظم الخطر على المسلمين الذين سيواجهون - وهم مشاة - أضعافهم من الأعداء الذين يملكون الخيل، فعند ذلك تظهر للمتأمل عظمة المسلمين وبطولتهم الخارقة». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٢٢-٢٣].

١٣ - الرصد الحربي والدقة في التوقيت:

يقول د/ الحميدي: «في هذا السرية مثلٌ من تفوق المسلمين في الرصد الحربي والدقة في التوقيت، حيث استطاع أصحاب هذه السرية أن يصلوا إلى الأعداء قبل أن يعلموا عنهم أي شيء رغم بُعد المسافة، ولقد كان هذا هو أهم عوامل نجاح المسلمين في هذه السرية.

إن مجرد شعور الأعداء بمقدرة المسلمين على الاستخفاء والقيام بالحروب الخاطفة المفاجئة تجعلهم يمتلئون رعباً منهم ويتوقعون منهم الإغارة في أي وقت، وهذا الشعور يحملهم على الاعتراف بقوة المسلمين ومسالمتهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ٢٣].

١٤ - أهمية الكتمان والسريّة في تحقيق النصر:

يقول أ/ باشميل: «ولما كان الكتمان من لوازم هذه الدورية صار القائد أبو سلمة ﷺ يسير برجاله ليلاً وبأقصى سرعة، ويكمن بهم نهاراً، وكان يسلك برجاله طريقاً غير مطروق حتى وصل إلى منازل بني أسد.

وكان القصد من هذا هو إخفاء خبر هذه الحملة بحيث لا يعلم بها أحدٌ، حتى تصل إلى ديار بني أسد.

ولقد نجحت هذه الحملة فعلاً في تحقيق أهدافها حيث تمكن رجالها من مباغطة بني أسد في ديارهم وأخذهم على حين غرة قبل أن يستكملوا تحشيدهم، حيث فاجأهم قوات المسلمين فجراً وأخذت في تطويق منازلهم وهم على غير أهبة، فأخذتهم الدهشة فلم يستطيعوا الثبات، بل ولوا الأدبار دون أية مقاومة». [غزوة الأحزاب لباشميل ٢٥].

١٥ - المرونة في تنفيذ المهام بما يحقق أهداف الجماعة:

يقول د/ الغضبان: «وكان أبو سلمة ﷺ عند مستوى ثقة قيادته به، فهو لم يكتف أن يرد قَطْن ماء بني أسد ويعسكر حيث كان الجمع وتفرق، ويعود ظافراً إلى المدينة، فقد اقتضى وجوده في أعماق البادية أن يغامر في ملاحقة العدو داخل أرضه، والرجال العظام هم الذين يفكرون بهذا المستوى،

فالجندي الكفاء هو الذي ينفذ الأوامر الحرفية الملقاة عليه من قائده، أما القائد الفذ فهو الذي يدرس الموقف بصفته القيادية، ويضع الخطة المناسبة حسب مقتضيات الظروف، ويسعى إلى تحقيق هدف عسكري معين وراء هذه الخطة وهذا التحرك، فطبيعة الأوامر الصادرة له من قيادته النبوية تجعل مهمته قد انتهت من خلال تفرق جمع بني أسد.

كان الأمر النبوي الأول: «أُخْرِجْ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَيْهَا». وكان الأمر النبوي الثاني: «سِرْ حَتَّى تَرِدَ أَرْضَ بَنِي أَسَدٍ بِنِ حُزَيْمَةَ، فَأَغْرَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلَاقَى عَلَيْهِمْ جُمُوعُهُمْ».

وكان التوجيه النبوي الثالث: أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. فإذن هي قيادة تفويضية مطلقة ضمن الهدف العام، وهو يقدّر حدود تنفيذ هذا الهدف، ورأى أبو سلمة ﷺ أن هذا الأمر غير كاف بتفرق الجمع قبل لقاء المسلمين.

إنه الانتقال من الخطة الدفاعية إلى الخطة الهجومية، ففي مفهوم الحرب العربية، لم يحقق أبو سلمة ﷺ من هدفه شيئاً، ولا بد من النيل من العدو بأي شكل حتى يذوق طعم قوة المسلمين، ويتجرع غصص الهزيمة أمامهم، فماذا فعل ﷺ؟ وما هي خطته؟

فَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي طَلَبِ النَّعْمِ وَالشَّاءِ، فَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَ فِرَقٍ:

- فِرْقَةٌ أَقَامَتْ مَعَهُ.

- وَفِرْقَتَانِ أَغَارَتَا فِي نَاحِيَتَيْنِ شَتَى.

وكانت الأوامر الموجهة للفرقتين المغيرتين محددة:

١- أَوْعَزَ إِلَيْهَا أَلَّا يُمِيعُوا فِي طَلَبِ.

٢- أَلَّا يَبْتَئُوا إِلَّا عِنْدَهُ إِنْ سَلِمُوا.

٣- أَلَّا يَقْتَرِفُوا.

وُنَفَّذَتِ الخطة كاملة، فأبوا إليه جميعاً سالمين، قد أصابوا إبلاً وشاء، ولم يلقوا أحداً. فليس الهدف مواجهة العدو، إنما الهدف الإغارة على نعمه وشائه، وبث الذعر والخوف في صفه، وقد تحقق الهدف.

وبدلاً من أن تتناقل الركبان آثار هجوم بني أسد على المدينة، فتسارع القبائل الأخرى للغزو والإغارة عليها، راحت تتناقل وصول المسلمين إلى أعماق البادية، ومضارب بني أسد حوالي ثلاثمائة

وعشرين كيلاً بعيداً عن المدينة باتجاه القصيم، والعودة بالغنم والشاء منها دون أن ينال المسلمين سوء أو مكروه، فتقلب تفكير قيادات القبائل كله في هذا المجال». [التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٣٦-٢٣٨].

١٦ - جواز القتال في الأشهر الحرم:

حيث إن السرية خرجت في شهر محرم وهو من الأشهر الحرم كما عرفنا، وقد سبق تفصيل جواز القتال في الأشهر الحرم في سرية عبد الله بن جحش ؓ إلى نخلة ٢ هـ.

١٧ - مشروعية التعرض لأموال الحربيين والاستيلاء عليها:

دل ما توصلت إليه السرية من الإغارة على أموال العدو، والسيطرة على بعضها على مشروعية ذلك، وهذا ما سبق تفصيله في سرية حمزة ؓ إلى العيص ٢ هـ.

١٨ - إزال الرعب في قلوب الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية في المدينة:

لقد كان لنجاح هذه السرية أكبر الأثر في نفوس القبائل المجاورة التي كانت تُحدِّث نفسها بالإغارة على المدينة؛ لأن قبيلة بني أسد تُعتبر من أقوى القبائل النجدية وأشدّها شكيمة، فكان نجاح المسلمين في ضرب هذه القبيلة وتشيت جموعها بتلك السرعة بمثابة إنذار حاسم لمن تحدّثه نفسه بالقيام بما اعترمت هذه القبيلة القيام به من عدوان.